من شعر محمد عبدالله محمد

ديوان العارف *

من قصيدة الدوم

والحديث الثالث

العارف اسم ديوان للشاعر المحامى الأديب الفقيه محمد عبد الله محمد، ديوانه " العارف " الذى مه أغترف، وصفته : "العارف" الذى نهلت منه حيًا وراحلا .. ما قصدته إلا وجدت ما يصيف إلىَّ وما طالعت مؤلفا من مؤلفاته، أو بعضا من أشعاره - إلا ووجدتنى أغوص وراءه فى الأعماق، وأحلق معه فى السموات ..

طفت فى "أحاديث" قصيدته "الدوم" من ديوانه "العارف" فرأيته فى الحديث الثالث يتتبع الإنسان فى جريه وراء الدنيا الغرورة، ثم فى تأمله فى حكمة خلقه والمفارقة المتحلية بين حكمة وتدبير الرب، واضطراب وحمق العبد. فأين قصور الإنسان أمام العلم اللدنى، وكيف تكون مناجاته إلى خالقه :

قد دبَّرَ الربُّ أجزائى بِحِكْمَتِه
وَسُقْتُ بالحُمقِ أحزائى وإحْماعِى
لكلِّ شىء بهذا الكونِ خُطْوَتُه
ولا انتظامَ لأنْغَامِى وإيقَاعِى

---

* العال ٢٠٠٩/٥/١٤

لا سَقْفَ فوقَ خيالى فى تَطَلُّعِه
ولا حدودَ لإشرافِى وأطماعِـى
فكيفَ يَمْنَحُ مِثْلِى قلبَهُ سَلَفاً
لم يكتملْ أبدًا بالحُبِّ إقناعِـى

* * *

لاتَدَّعى العلـمَ إنَّنا بشـر
لنـا انتباهٌ وإدراكٌ وإلهـام
ولا نَهـاب من الألفاظِ سطوتَها
فتلك فى أغلبِ الأحيانِ أصنـامُ
سَكْرَى تخاطِبُ نَعْساناً فنَحْسَبُهَا
حقيقةً وهى أحلامٌ وألعـامُ
تبارك الرَّبُّ هل تحتاج رؤيتُهُ إلى
فصيحٍ وهل يُخْفِيه إعْحَامُ ؟!

* * *

ربِّـى تُقاتُكَ والعاصونَ مشكلةٌ
جسْمٌ وعقـلٌ وأشبـاحٌ وأرواحُ
نومٌ وصحْوٌ وإسفافٌ وتَعْليـةٌ
نارٌ ونورٌ وأتـراحٌ وأفـراحُ
هُمُ صغارٌ وأوْغادٌ ذَوو حِيَـلٍ
وهم كبـارٌ لهُـمْ شأوٌ وأوْضَـاحُ
وهُمْ جميعاً لَدَى الرحمنِ فى
كَنَفٍ ولطْفُ ذِى اللُّطفِ غدَّاءٌ ورَوَّاحُ

* * *

صَمَتتْ بَلابِلُ هذا الرَّوضِ من حِقَبٍ
فلا تُغَنِّى ضِبَا فَجْرٍ ولا شَفَقِ
ولا تبارحُ أيكاً جفَّ معظمُه
ولا تطوفُ بنَبعٍ فيه منبثِقِ
فَهَلْ يعودُ لهذا الروضِ نُضْرتُهُ
وَفِضَّةُ الماءِ رقراقٍ ومُنْدَفِقِ
وَشَدْوُ كُلِّ طيورِ الجوِّ يملؤُه
بِحُبِّ مُنْطلِقٍ منها لِمُنْطَلِقِ ؟

* * *

لقد تَعِبْنا من الإنصاتِ فى مَلَلٍ
لِذلك الجيْشِ من شرّاحِ ماصينَا
ولم نصادِفْ كلاماً قطّ ـ أقنعَنَا
به مواجهةُ دُنْيَانَا وَيُجْدِينَا
نِمْنَا ولم نَكُ أيْقاظاً وشَحَّعَنَا
على المنامِ غناءٌ نائمٌ فينَا
به نُرَدِّدُ إيقاعاً يُحَدِّرُنَا
ويملأ النومُ بالأحلامِ وَادِينَا

* * *

اكْبَحْ جِمَاحَكَ معْنى الشيءِ خارجُهُ
وليْسِ جُوَّاهُ جَلّ الشيءُ أوْ هَانَا
أنْت الذى تُفرِزُ المَعْنَى وتُلْصِقُهُ
بالشيءِ حسَّنَ هذا الشيءَ أوْ شَانَا
هَذِى العيونُ لَدَى الغُزلانِ خاليةٌ
مما تَصَوَّرُ فيها الشِعْرُ أحيانَا

وليسَ يَسْهَرُ نجْمٌ فى الدُّجَى أبَدًا
إلا إذا كنْتَ يا مسكينُ سَهْرَانَا

* * *

ماذا تُريدُ ؟ لقد غَاضَتْ منابعُنَا
وقَلَّ فى رَوْضِنَا الأندادُ والمطرُ
وذلك الشوكُ فينا هل يغيِّرُهُ
تدفقُ الماءِ إنْ يَأذنْ به القَدَرُ ؟
أمْ نحنُ كالدوم لا يَسْخُو بفاكهةٍ
ولو تَنَاهد فيه السَّيْلُ والنَّهَرُ
ورغْمَ هذا فإنَّ اللهَ يملؤنَا إذا
تهامَسَ صَمْتُ اليدِ والقَمَرُ